

## معرفة الله من خلال دعاء عرفه

أ- الحمد والمعرفة: لا يتحقق كمال الحمد إلا بالمعرفة المسبقة لمن نحمده، وما نقرأه في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام)، يعبر عن غاية الحمد لله تعالى، ممن يعرفه، قال (عليه السلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صَانِعٍ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ، فَطَرَ أَجْنَاسَ الْبَدَائِعِ، وَاتَّقَنَ بِحِكْمَتِهِ الصَّنَائِعِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْطَّلَائِعُ، وَلَا تَضِيعُ عِنْدَهُ الْوُدَائِعُ...»

ب- المعرفة واليقين باستجابة الله تعالى لنا: ينتج عادة في حياة الناس العرفية، والعلاقة مع بعضهم البعض، نوع من الثقة والاطمئنان الكامل بالآخر، وما هذا إلا نتيجة المعرفة الكاملة والواعية بالآخر، وبنفس هذه الروحية ينبغي أن تكون علاقتنا بالله تعالى، قال (عليه السلام) في دعاء عرفه،

«وَهُوَ لِلدَّعَوَاتِ سَامِعٌ، وَلِلْكُرْبَاتِ دَافِعٌ، وَلِلدَّرَجَاتِ رَافِعٌ، وَلِلْجَبَابِرَةِ قَامِعٌ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»،

ويشير في مقطع آخر إلى أن الله تعالى يحب أن يقرب عبده المؤمن منه فقال (عليه السلام):

«لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلِي وَجَرَأَتِي عَلَيْكَ أَنْ

الحياة، ونواميس الكون وعظمة الخالق، كلما زاد خشوعه نتيجة معرفته هذه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخَوْفَ»<sup>(٢)</sup>.

ومثله ما عن الإمام علي (عليه السلام): «أَعْلَمَ النَّاسَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ أَخَوْفُهُمْ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

### ١- بين الإيمان بالله تعالى ومعرفته:

يستفاد من الروايات أن الإيمان بالله تعالى ومعرفته مرتبة رفيعة وخاصة وله عدّة مراحل، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزَّ مِنَ الْيَقِينِ»<sup>(٤)</sup>.

### ٢- معرفة الله في دعاء عرفه:

تتجلى معرفة الله تعالى في أدعية أهل البيت (عليهم السلام)، ونصوصهم، وكلماتهم في المناسبات المختلفة، فلا يغيب الله بالمطلق عن عقولهم وقلوبهم وحياتهم العملية، وهذا ما نفهمه بوضوح من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في عرفة في المقاطع الآتية وغيرها:

(٢) (بحار الأنوار، ج ٧٠).  
(٣) (غرر الحكم، ٢١٢١).  
(٤) (الكافي، ج ٢، باب فضل الإيمان على الإسلام، حديث، ١).

### محاور الموضوع الرئيسية:

- بين الإيمان بالله تعالى ومعرفته.
- معرفة الله في دعاء عرفه.
- الشكر من آثار المعرفة الأساسية.

### الهدف:

التعرّف على جوانب من دعاء عرفة في معرفة الله تعالى.

### تصدير الموضوع:

«سُئِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: بِمَا عَرَفْتَنِي نَفْسِي، قِيلَ كَيْفَ عَرَفْتَكَ نَفْسِي؟ فَقَالَ: لَا تُشَبِّههُ صُورَةً وَلَا يَحْسُ بِالْحَوَاسِ وَلَا يَقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ فِي بَعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قَرْبِهِ...»<sup>(١)</sup>.

(١) (الكافي، ٨٥/١ / حديث ٥).

### مدخل

لقد كثرت الدراسات وتوّعت الأدلة الفطرية والنقلية والعقلية وغيرها للبحث عن معرفة الله تعالى، وقد أرشدت نصوص أهل البيت (عليهم السلام) إلى طريقة هامة لمعرفة الله وهي معرفة الله بالله تعالى. وورد في الدعاء عن الإمام السجّاد (عليه السلام) «بك عرفتك، وأنت دلتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت»<sup>(١)</sup>.

فكلما ازداد علم المرء بأسرار

## إليه يصعد الكلم الطيب

فالتشاء والمدح والحمد، وأمّا آثاره في الأعضاء فالطاعة واستعمال الجوارح في رضا المنعم وأمثاله.

ونقل عن الراغب (الشكر تصوّر النعمة وإظهارها. قيل وهو مقلوب عن الشكر أي الكشف وبيضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها، ودابة شكور مظهر بسمنه إسداد صاحبه إليه. وقيل أصله من عَيْنَ شَكْرِي: أي ممتلئة، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.

قال الصادق (عليه السلام): «أوحى الله عز وجل إلى موسى (عليه السلام): يا موسى اشكرني حق شكري. فقال: يا رب وكيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به، إلا وأنت أنعمت به عليّ. قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني».

### خاتمة:

قال الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة:

«... يَا مَنْ عَارَضَنِي بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَعَارَضْتُهُ بِالْإِسَاءَةِ وَالْعُصْيَانِ، يَا مَنْ هَدَانِي لِلْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ شُكْرَ الْإِمْتِنَانِ، يَا مَنْ دَعَوْتُهُ مَرِيضاً فَشَفَانِي، وَعَرِياناً فَكَسَانِي، وَجَائِعاً فَأَشْبَعَنِي، وَعَطْشَاناً فَأَرَوَانِي، وَذَلِيلاً فَأَعَزَّنِي، وَجَاهِلاً فَعَرَّفَنِي، وَوَحِيداً فَكَثَّرَنِي، وَغَائِباً فَزِدَّنِي، وَمُقِلّاً فَأَغْنَانِي، وَمُنْتَصِراً فَتَصَرَّنِي، وَغَنِيّاً فَلَمْ يَسْلُبْنِي، وَأَمْسَكَتْ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ فَأَبْتَدَأَنِي».

فالخوف من الله تعالى نوع من الخضوع والخشية والتألم أمام عظمة الله تعالى، وهو من خصائص المؤمنين وسمات المتقين، قال الإمام علي (عليه السلام): «الخشية من عذاب الله شيمة المتقين»<sup>(٤)</sup>.

وينبغي أن يتسم الخوف بالقصد والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط في الخوف، لأن الإفراط يؤدي النفس ويجعلها في حالة اليأس من الرجاء والأمل، والتفريط باعث على الإهمال والتقصير والتمرد على طاعة الله تعالى، قال الإمام علي (عليه السلام): «خير الأعمال اعتدال الرجاء والخوف»<sup>(٥)</sup>.

### ٢- الشكر من آثار المعرفة

#### الأساسية:

دلّت الآيات على أن الشاكر إنما يشكر لنفسه، لأنه هو المنتفع الذي سعى لحياة طيبة ومنعمة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

يقول الإمام الخميني (قدس سره): الشكر عبارة عن تقدير نعمة المنعم. وتظهر آثار هذا التقدير في القلب في صورة، وعلى اللسان في صورة أخرى، وفي الأفعال والأعمال بصورة ثالثة.

أما آثاره القلبية فهي من قبيل الخضوع والخشوع والمحبة والخشية وأمثاله. وأمّا آثاره على اللسان،

دللتني إلى ما يقرّبني إليك، ووفّقني لما يُزِلُّني لديك، فإن دعوتك أجبتني، وإن سألتك أعطيتني، وإن أطلعتك شكرتني، وإن شكرتك زدّنتني، كلّ ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ، وإحسانك إليّ»

### ج- اجعلني أخشاك كأني أراك:

قال (عليه السلام) في دعاء عرفة: «اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقوايك، ولا تشقني بمعصيتك، وخر لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتّى لا أحبّ تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، اللهم اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والنور في بصري، والبصيرة في ديني»

فيجب أن يربّي المؤمن نفسه على الخوف من الله تعالى ليكون باعثاً له على الطاعة ومنفراً له من الذنب والمعصية، قال الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): «أوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلا نيتك»<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لإسحاق: «خف الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حدّ أهون الناظرين إليك»<sup>(٨)</sup>.

(١) (غاية الكمال).

(٢) (بحار الأنوار، ج ٤٢).

(٣) (بحار الأنوار، ج ٧٠).

(٤) (غرر الحكم ١٧٥٧).

(٥) (غرر الحكم، ٥٠٥٥).

(٦) (لقمان: ١٢).